الإشاريات التداولية في النصوص الأدبية: "النصوص السياسية للسنة الثالثة ثانوي أنموذجًا"

Pragmatics Deixis on The Literary Texts: Political Texts of Third Year High School as Template

مبروك حمزة
مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)،
hamza.mebrouk@univ-biskra.dz

لهويمل باديس
جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)
b.lehouimel@univ-biskra.dz

تاريخ الإرسال: 2022/05/04	تاريخ القبول: 2022/09/07

الملخص:

يُركّز المقال على مفهوم الإشاريات التداولية، والوقوف على أنواعها : الشخصية والزمانية والمكانية من خلال تتبّعها وتحليل مختلف أبعادها الدّلالية والتّواصلية في النصوص الأدبية السياسية للسنة الثالثة ثانوي، وكانت قصيدة منشورات فدائية لنزار قباني عنوانًا للتطبيق.

والهدف من الدراسة هو التّعرّف على مدى تأثير الإشاريات في تفسير وكشف المقاصد التي ضمّنها الشاعر في نصّه، وذلك من خلال ربط المكوّنات الإشارية بالسياقات التي وردت فيها.

تتمثّل أهميّة الدراسة في توضيح دور الإشاريات التداولية في الإقناع والتّأثير في الآخر.

الكلمات مفتاحية: الإشاريات؛ النصوص الأدبية ؛ النصوص السياسية للسنة الثالثة ثانوي؛ منشورات فدائية لنزار قباني

Abstract :

The article is focusing on the pragmatics deixis concept with its types: Personal, Temporal, and Spatial one, by following it and analyzing its communicative and semantic dimensions in the political literary texts of third year high school and Manshürät Fidä'iyya poem of Nizar Qabbani was the study template.

The study aim's is to realize the effect of deixis in explaining and exploring the poet's intentions has meant in his text, by linking the deixis with its context .

The significance of the study seems in clarifying the role of pragmatics deixis on convincing and affecting the other.

Keywords: Deixis; Literary text; Political texts of third year high school ; "Manshürät Fidä'iyya of Nizar Qabbani**.**

المؤلف المرسل: مبروك حمزة.

مقدمة:

إذا كان النص الأدبي يمثّل البناء الذي تتشكل منه المفردات وتترابط فيه العبارات، وتنسج فيه الدلالات والعواطف وتلتقي فيه الرؤية مع المخيلة، فإنّ مضمونه وجماليته والمقاصد الي يبتغي الكاتب-المرسل إيصالها إلى المتلقي لن تتحقّق من خلال انغلاقه على نفسه بل يجب إقحام شبكة من العناصر اللغوية وغير اللغوية المحيطة بإنتاج النص وتجنيدها باعتبار أن النص الأدبي في جوهره خطاب تبليغي تواصلي قيل من مرسل معين(كاتب) لمتلق(قارئ) معين وفق ظروف زمنية ومكانية معينة.

لقد ظلّ النص الأدبي حقلا خصبًا للمناهج النقدية حيث حظيت لغته باهتمامها، وقد تناولته هذه المناهج من زوايا مختلفة فالاتجاه البنيوي بمختلف مناهجه يحصر الإبداعية في النص في داخله فلا معنى ولا جمالية ولا شعرية خارج أسوار الكلمات حيث النص يتكلم عن نفسه بمعزل عن صاحبه والمتلقي وغير ذلك من الجوانب الأخرى خارج حدود النص، ثم جاء الاتجاه التداولي السياقي الذي حاول أن يستدرك النقائص التي وقعت فيها المناهج البنيوية الشكلية التي وقفت بالنص عند حدود الدراسات الدلالية التي تقف على محصول المعنى فيما بين تراكيب النص.

لقد جاءت التداولية لتتجاوز الدراسة الدلالية المحدودة التي بيّنت قصورها في معالجة الظاهرة الأدبية إلى الاهتمام بنوايا المتكلم ومقاصده، والاعتداد بالظروف المحيطة بإنتاج وتلقّيه.

إنّ دراسة النص من منظور تداولي هي دراسة عميقة لمضمونه ومقاصده التي لا نفهمها إلّا بالرجوع إلى السياق، فلا قيمة للألفاظ أو العبارات معزولةً عن السياق الذي وردت فيه، ولذلك لا بدّ من بحث الظروف المحيطة به، والوقوف على زمان ومكان التخاطب لكي تتّضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطَب والتي يرمي إليها المتكلم. وكل هذه الأمور تهتم بها الدراسة التداولية[1].

والإشاريات التداولية وحضورها في النصوص الأدبية المنتقاة في الكتب المدرسية هو موضوع الورقة البحثية التي وقع عليها اختياري كنموذج للدراسة، وهذا بسبب قلّة الدراسات التي تناولت الإشاريات في النصوص الأدبية المتضمّنة في الكتب المدرسية في حين نجد أبحاثًا كثيرةً للإشاريات في نصوص أدبية شعرية ونثرية غير مدرسية. ولهذا ارتأيتُ خوض غمار البحث في الإشاريات وأنماطها في النصوص الأدبية الموجّهة للتّدريس ذات الطابع السياسي، والوقوف على فاعليتها في الكشف عن مختلف المضامين والقيم والمقاصد السياسية التي سعى الشاعر إلى تبليغها للمخاطَب.

وفي ضوء ما تقدّم، حاولتُ أنْ أُقارب النص الأدبي السياسي "منشورات فدائية لنزار قباني" مقاربةً تداوليةً سياقيةً تستنطق المضامين والأبعاد الفكرية والسياسية والثقافية التي اشتمل عليها النص بواسطة تفعيل آلية الإشاريات التداولية، والوقوف على مختلف أنواعا وبيان دورها في إيصال ما يريده الشاعر للمخاطَب

وتهدف هذه الدراسة إلى تحديد أنواع الإشاريات التداولية في النصوص الأدبية السياسية، وإبراز دور الإشاريات التداولية في الكشف عن المقاصد والدلالات الي تتضمنها هذه النصوص من خلال

النص الأدبي " منشورات فدائية لنزار قباني". كما تسعى هذه الورقة البحثية إلى إلقاء الضوء على النصوص الأدبية المتضمّنة في الكتب المدرسية من المنظور التداولي.

من هذا المنطلق يمكننا صياغة إشكالية موضوع البحث بالتساؤل التالي: ما مدى حضور الإشاريات التداولية في النصوص الأدبية ذات الطابع السياسي؟ وما مدى مساهمة هذه الإشاريات في تبليغ المقاصد التي تضمنّها النص الأدبي السياسي "منشورات فدائية" لنزار قباني؟

وقد اتّبعتُ المنهج الوصفي التحليلي الملائم لقراءة ووصف هذه الإشاريات التداولية من حيثُ المفاهيم والأنواع وتتبّعها في هذا النص الأدبي السياسي الذي تمّ اختياره كعيّنة للتطبيق.

1- مفهوم الإشاريات التداولية وأنواعها:

تُعدُّ الإشاريات من أهم العوامل المساهمة في بناء الخطاب، اتّساقًا وانسجامًا، إذْ لا يخلو الكلام منها، لدورها النحوي ووظائفها الدلالية والتداولية[2]. فهي مكوّنات لغوية متعدّدة الأدوار؛ تربط بين أجزاء النص وتساهم في تحديد المعاني التي ينطوي عليها ،كما أنّها تتّصل بسياق الخطاب لتوضّح المقاصد التي قصدها المرسِل في خطابه، وتحديد هوية الأطراف الفاعلة في العلاقة التخاطبية.

والإشاريات هي من مفاهيم التحليل التداولي للخطاب، نكشف من خلالها الإمكانيات التي يحويها الخطاب أثناء العملية التواصلية، فالإشاريات هي أسماءٌ مبهمةٌ في حد ذاتها، ولا يُتلفّظ بها إلّا في سياق تخاطبيّ ولا يتحدّد مرجعها إلّا في سياق الخطاب التداولي. وتتجلّى أهمية الإشاريات التداولية خطابيًّا في كون أنّ اللغة لا تُلبّي الأغراض التواصليّة لمستعمليها بفاعليّة إلّا بوجود الإشاريات، إذْ لا يمكن فهمها وتحديد دلالاتها إلّا بمعرفة من هو المتكلّم، ومن هو المستمع، وما هو زمن إنتاج الخطاب ومكانه[3].

وقد تعدّدت المصطلحات المعبّرة عن الإشاريات عند العلماء، فقد سمّاها روبرت دي بوجراند "الألفاظ الكنائية"[4].

كما نجد جورج يول يسمّي الإشاريات "التعابير التأشيرية"، والتأشير في نظره مصطلحٌ تقنيٌّ يُستعملُ لوصف إحدى أهم الأشياء التي نقوم بها في أثناء الكلام والتأشير- عنده - يعني الإشارة من خلال اللغة، ويقسّم التعابير التأشيرية إلى: التأشير الشخصي والتأشير المكاني والتأشير الزماني[5].

وقد أطلق عليها الأزهر الزناد "العناصر الإحالية في اللغة " وعدّها من قبيل المعوّضات، وأشار إلى أنّها تأتي تعويضًا في الكلام عن وحدات معجميّة(أسماء مفردة وما يضارعها من المركّبات)، وتشمل كلّ ما يشير إلى ذاتٍ أو موقعٍ أو زمنٍ[6].

تقوم الإشاريات على دراسة عناصر إنتاج الخطاب اللغوي التي تحصرها في : (1- الأنا، 2 - الهنا، 3 - الآن)؛ وهذه العناصر الثلاثة هي الإشاريات[7]:

الأنا: هي جميع الضمائر(المتكلّم والمخاطَب)

الهنا: هي جميع أسماء الإشارة المعروفة وظروف المكان.

الآن: هي ظروف الزمان التي يمكن أنْ تكون بارزةً أو مضمرة، كما في الملفوظ مثلًا: (أمر):أكتب الدرس. فهذا الملفوظ في بنيته الضمنية العميقة هو: أنا أقول أكتب أنت الدرس الآن هنا.

تُعرّف الإشاريات بأنّها "مفهوم تداولي يجمع كل العناصر اللغوية التي تُحيل مباشرةً على المقام من حيث وجود ذات متكلّمة وزمان التكلّم ومكانه، ومن ثمّ فلا بدّ من استحضار السياق المكاني والزماني والشخوص لتحديد الإشاريات"[8]. إذن، فالإشاريات هي مكوّنات لا تتحدّد مدلولاتها الشخصية أو الزمانية أو المكانية إلّا بالرّجوع إلى سياق التلفّظ الذي وردت فيه.

يتّفق أغلب الباحثين في مجال التّداولية على أنّ الإشاريات ثلاثة أنواع: شخصية و زمانية، ومكانية.

1-1 الإشاريات الشخصية:

يُقصد بها الضمائر الشخصية الدّالة على المتكلّم وحده مثل: (أنا)، أو المتكلّم ومعه غيره مثل: (نحن)، والضمائر الدّالة على المخاطَب مفردًا أو مثنّى أو جمعًا، مذكّرًا أو مؤنّثًا. ويدخل في الإشارة إلى الشخص النّداء، وهو ضميمة اسمية تشير إلى مخاطَب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه[9].

ويمكن توضيح أهمية الضمير الإشاري في قول القائل: (في مكتبتي بالمنزل وضعتُ سيبويه في مكان واضح، إنّه مفيد للباحثين).

إنّ الضمير في (إنّه) لا يعود إلى سيبويه، وإنّما يعود إلى ما يُفهم من كلمة سيبويه، وهو كتابه المعروف في النحو، إذْ لا يُعقل أن يكون سيبويه هو الموضوع في المكتبة[10].

تمثّل الإشاريات الشخصية نقطة الارتكاز السياقي في إنجاز الخطاب، ولا يتحقّق الخطاب من دون الأطراف المشتركة في تواصلية السياق، وفهم أبعاده، ومن أهم هذه الأطراف (المرسِل) المعبّر عن الأنا، سواءٌ أكان موجودًا أم مقدّرًا، فهو منطَلق إنشاء الخطاب[11].

تؤدّي الضمائر ـ باعتبارها ظاهرةً لغويةً ـ دورًا هامًّا في ضمان الإطار التداولي للحديث، ويتشكّل الحديث أو الخطاب بين "أنا" و "أنت"، وتحقّق الفاعلية في اللغة يعني الحديث عن دور الضمائر في تحويل اللغة إلى ممارسة ونشاط فردي من خلال الاستعمال، بحيث أنّ المتكلّم حين يملك اللغة ويتحكّم فيها فهو يجعلها من إمكاناته، وينصّب نفسه في مرتبة عالية ضمن العملية التخاطبية، ولا يتحدّث إلّا لشخص ينصّبه أمامه أي المخاطَب[12].

1-2 الإشاريات الزمانية:

هي كلمات تدلّ على زمان يحدّده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يُعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ...فإذا قلت: نلتقي الساعةَ العاشرة، فزمان التكلّم وسياقه هما اللذان يحدّدان المقصود بالساعة العاشرة صباحًا أو مساءً من هذا اليوم أو من يوم يليه، وإذا تأمّلنا زمن الفعل "نلتقي" وجدناه ينفي أنْ يكون اللقاء قد حدث فعلًا بل يصرف زمن اللقاء إلى زمن لم يمض بعد، ومثل ذلك كلمات مثل: أمس، وغدًا، والآن، والأسبوع الماضي، ويوم الجمعة، والسنة المقبلة، ومنذ شهر...الخ[13].

شغل الزمن حيّزًا مهمًّا في دراسة الإشاريات، سواءٌ تعلّق الأمر بزمن الفعل أم بظروف الزمان. وقد اتّضح أنّ دلالة الزمن لا تتحدّد بزمن الفعل أو الظرف في حدّ ذاته، وإنّما بزمن التلفّظ، معنى ذلك انّنا عندما نعمد لظرف زمن مثل أمس، فإنّ دلالته تتحدّد بالزمن الذي أُنتج فيه الملفوظ، أي إنّه يدلّ على اليوم الذي سبق يوم إنتاج الملفوظ، وبالمثل فإنّ غدًا تدلّ على اليوم الذي يلي زمن الحديث. ومن هذا نستنتج أنّ الزمن يمثّل عنصرًا ملازمًا لكلّ لغة وحدث لغوي، وتتّصل دلالته بالاستعمال[14].

3-1 الإشاريات المكانية:

كما أنّ الخطاب يقع في زمان معيّن، فإنّه يقع في مكان معيّن أيضًا. والإشاريات المكانيّة "هي عناصر إشارية إلى أماكن يُعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تُشير إليه قُربًا أو بُعدًا أو وجهة"[15].

والإشاريات المكانية هي عناصرٌ "تختصُّ بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتُقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقًا من الحقيقة القائلة: إنّ هناك طريقتيْن رئيستين للإشارة إلى الأشياء هما: إمّا بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإمّا بتحديد أماكنها من جهة أخرى"[16].

"وأكثر الإشاريات المكانية وضوحًا هي كلمات الإشارة نحو هذا وذلك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلّم، وكذلك هنا وهناك وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلّم وسائر ظروف المكان مثل فوق، وتحت وأمام، وخلف...كلّها عناصر يُشار بها إلى مكان لا يتحدّد إلّا بمعرفة موقع المتكلّم واتجاهه"[17].

2- تداولية الإشاريات في النص الأدبي السياسي " منشورات فدائية لنزار قباني":

تُعدّ قصيدة منشورات فدائية على جدران إسرائيل لنزار قباني أنموذجًا من نماذج النصوص الأدبية السياسية ، وهي من بين أطول قصائده التي نظمها، فقد تضمّنت سبعة وعشرين مقطعًا، وكل مقطع شعري يشتمل على أسطر شعرية، وهي قصيدة حرّة من أشعار نزار المدوّية في رحاب شعر الالتزام، وقد تمّ اعتمادها كنص أدبي تعليمي في منهاج السنة الثالثة ثانوي للشعبة الأدبية حيث نجدها تقع في المحور الخامس من المحاور المقررة لهذه الشعبة ، ولكي تصبح هذه القصيدة نصًّا تعليميًّا وتتماشى والأهداف البيداغوجية والتّربوية فقد تمّ التّصرّف فيها، حيث تمّ التصرّف أوّلًا في العنوان؛ فعنوان القصيدة الأصلي هو "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" ليصبح في النص البيداغوجي" منشورات فدائية" أي تمّ الحذف في العنوان، وبالنسبة إلى مستوى عدد المقاطع الشعرية فقد تمّت عملية التغيير والتصرّف فيها بنسبة كبيرة ؛فالقصيدة الأصلية يبلغ عدد مقاطعها سبعة وعشرين مقطعًا، لينحصر عددها في النص البيداغوجي إلى سبعة مقاطع وهي قصيدة تعبّر عن مدى انشغال الشعراء المعاصرين بقضية فلسطين، وكذا الحس القومي لديهم، هذه النزعة، أي النزعة القومية. ومن أجل الوقوف على مختلف المقاصد والرسائل التي أراد نزار

قباني تبليغها في قصيدته فقد حاولتُ أنْ أتتبّع مجموعة من المعطيات والمكوّنات السياقية التي تكتسي أهميةً كبيرة في فك شفرات القصيدة وتوجيه دلالاتها من خلال ربط الأبيات بالسياق الخارجي. ومن هذه المعطيات الإشاريات، حيث نجد هذه الأخيرة قد تنوّعت في قصيدة منشورات فدائية ما بين شخصية وزمانية ومكانية.

1-2 الإشاريات الشخصية:

"وتتمثّل في الضمائر الدّالة على المتكلّم وحده مثل أنا أو المتكلّم ومعه غيره مثل نحن، وكذلك الضمائر الدّالة على المخاطب مفردًا أو مثنّى أو جمعًا مذكّرًا أو مؤنّثًا، فضمائر الحاضر هي دائمًا عناصر إشارية لأنّ مرجعها يعتمد اعتمادًا تامًّا على السّياق الذي تُستخدم فيه"[18].

إنّ المتتبّع لقصيدة منشورات فدائية لنزار قباني يجد أنّها تحتفي بمختلف الإشاريات الشخصية إلّا أنّ الملاحظ هو سيطرة ضمائر الحضور عليها أي: ضمائر المتكلم والمخاطب ، وقد تمثّلت في القصيدة في الضميريْن: نحن/أنتم.

وبما أنّ ضمائر المتكلم والمخاطب تحيل إلى مراجع مرتبطة بالمقام، فإنّ الضمير "نحن" بحسب السياق يشير إلى العرب بينما الضمير "أنتم" يشير إلى اليهود ومعاونيهم الذين يساندونهم في احتلال فلسطين.

إنّ ثنائية الضدّية "نحن أنتم" التي تشكّلت من خلال هذيْن الضميريْن تكشف حالة الصّراع والنّزاع والحرب بيْن الطرفيْن، كما أنّ تركيز الشاعر على هذيْن الضميريْن وتكثيفه لاستعماله لهما يصوّر محاولته تأكيد وتثبيت هذا الصراع القائم على رفض "نحن" لـ "أنتم" وكذا سعيه لإبراز وقوف العرب مع الفلسطينيين دائمًا في مقاومتهم لليهود.

بالنسبة لضمير المتكلّم الجمع فقد استعمله الشاعر بأشكال مختلفة منفصل، متّصل، وقد جاء الضمير المنفصل "نحن" في القصيدة ليعبّر عن مجموعة من الدّلالات التي منحتها السياقات المتنوّعة التي احتضنته. ومن نماذج وروده كضمير منفصل قول نزار قباني[19]:

فنحن باقون هنا
مشرّشون **نحن** في خلجانها
مشرّشون **نحن** في تاريخها
مشرّشون نحن في وجدانها
و**نحن** باقون على صدوركم

إنّ الشاعر ومن خلال استخدامه للضمير المتكلّم المنفصل "نحن" أراد شحن خطابه بروح القوة التي لا تُقاوم، فـ "نحن" عند نزار هي المقاومة والتّحدي أراد منها الشاعر أنْ تكون مصدر تهديد وتحدّ دائم للصهاينة حتّى يعلموا أنّ الأرض الفلسطينية ليست للدخلاء المعتدين، فهي أرض عربية فلسطينية وذات تاريخ عريق.

كما جاء هذا الضمير المنفصل ليعزّز ويوطّد حبّ الشاعر وكل العرب للشعب الفلسطيني، فالشاعر يرى أنّ القضية الفلسطينية هي قضية كلّ العرب ولذا وجب على الجميع النّضال من

أجلها والدّفاع عنها، ولذلك فالشاعر يعبّر بلسان كلّ العرب الغيورين عن فلسطين مستعملًا الضمير "نحن" ليشير به إلى معاني التأييد والاهتمام والحب الذي يكنّه العرب لإخوتهم الفلسطينيين.

أمّا ضمير المتكلم في شكله المتّصل فقد تلوّن هو الآخر بمدلولات مختلفة عبّرت عن رؤية الشاعر وموقفه إزاء القضية، فالشاعر دائمُ الاتّصال والارتباط بفلسطين قلبًا وقالبًا. مدلولات ارتبطت بمقاصد ورسائل أراد الشاعر إيصالها للآخر الذي يُعدّ في نظر نزار محتلًّا ومجرمًا اغتصب أرض فلسطين وسعى للهيمنة عليها. ومن نماذج استعمال الشاعر لضمير المتكلّم متّصلًا قوله[20]:

لن تجعلوا من شعبـنا
فهذه بلادنا
فيها وُجدْنا
فيها لعبـنا، وعشقْـنا، وكتبْـنا الشّعرْ
لن تستريحوا معـنا
كلّ قتيل عندنا
إنّ اغتصاب الأرض لا يُخيفـنا
والعطش الطّويل لا يُخيفـنا
ما بينـنا.. وبينكم.. لا ينتهي بعامْ

لقد حمل ضمير المتكلّم من خلال هذه السياقات التي ورد فيها معاني ضمنية، ومن هذه المعاني نجد: معنى الظلم والاضطهاد الذي تعرّض له الفلسطينيون وهذا يتجلّى من خلال قوله" لن تجعلوا من شعبـنا"، فالشاعر استعمل ضمير المتكلّم هنا لمّا كان في سياق حديثه عن الاحتلال الصهيوني الغاشم لفلسطين مع تحذيره للصهاينة من الإقدام على محاولة طمس هوية الشعب الفلسطيني، كما جاء ضمير المتكلّم المتّصل معبّرًا عن معاني الانتماء والأصالة وهذا ما يتجلّى من خلال قوله: فهذه بلادنا/فيها وُجدْنا/فيها لعبـنا، وعشقْـنا، وكتبْـنا الشّعرْ. فالشاعر من خلال توظيفه لضمير "نا" في هذه العبارات نجده يُعبّر عن هوية فلسطين التي تُعتبر بالنسبة للفلسطينيين والعرب رمزًا لأصالتهم وتاريخهم ومجدهم وانتمائهم. كما جاء ضمير المتكلّم المتّصل أيضًا دالًّا على معنى المقاومة والنّضال، وهذا ما يُفهم سياقيًّا من خلال قول الشاعر: "لن تستريحوا معـنا"، فالشاعر يتوعّد الصّهاينة بتنغيص الرّاحة عليهم وذلك لأنّ الفلسطينيين ومعهم العرب لن يتوقّفوا عن مبدأ المقاومة والمواجهة حتّى يُطردَ الصّهاينة من أرضهم. كما جاء ضمير المتكلّم المتّصل مشحونًا بمعنى الشهادة والتّضحية في سبيل الوطن السّليب، وهذا ما يتجلّى في قوله: "كلّ قتيل عندنا"، فالتّضحية مستمرّة من أجل فلسطين ولن تتوقّف بدليل قول الشاعر بعد هذه العبارة: "كلّ قتيلٍ عندا يموت آلاف المرّات". وهذه رسالة تحذيرية من الشاعر للصهاينة حتى يعرفوا أنّ الشعب الفلسطيني شعبٌ يأبى الضّيم ولا يعرف الذلّ والخنوع. كما نلمس معنى آخر في القصيدة أفاده توظيف الشاعر لضمير المتكلّم المتّصل وهذا المعنى هو الشجاعة والبطولة ، وهذا ما يتجلّى من خلال السّطريْن الآتييْن:" إنّ اغتصاب الأرض لا يُخيفـنا"/ "والعطش الطّويل لا يُخيفـنا"، فإسناد الشاعر عدم الخوف إلى

الشعب الفلسطيني/العربي مع تكرار الفعل المضارع المنفي "لا يخيفنا" يدلّ بوضوح أنّ رسالة الشاعر المقصودة هي محاولة التّأثير في نفوس الصهاينة وإثارة الرعب والخوف في نفوسهم. كما استطاع الشاعر من خلال هذا الضمير أيضًا تصوير حالة الصّراع الطّويل بين الفلسطينيين والصهاينة، وهذا ما نستشفه من خلال قوله: " ما بيننا.. وبينكم.. لا ينتهي بعامْ"، وكأنّ الشاعر أراد أنْ يقول من خلال الضمير "نا" في هذه العبارة بأنّ الفلسطينيين المدعومين بالأشقاء العرب هم دائمًا في حالة حرب وصراع ومواجهة مع المحتل الصهيوني الذي أشار إليه بضمير "**كم**" في قوله: "**بينكم**".

أمّا ضمير المخاطَب الجمع الذي وظّفه الشاعر بتركيز في قصيدته فقد جاء كطرف مضاد لضمير المتكلّم الجمع، حيث أشار ضمير "نحن"-كما رأينا سابقًا- إلى الفلسطينيين ومعهم العرب، بينما أشار الشاعر من خلال ضمير المخاطَب الجمع "أنتم" إلى الصهاينة ومعاونيهم الذين دعّموا احتلال فلسطين من طرف الكيان الصهيوني.

ما يلاحظ على استعمال الشاعر لهذا الضمير في قصيدته هو أنّه ورد كضمير متّصل فلمْ يأت ولا في موضع منفصلًا وفي كل حالات وقوعه جاء للإحالة على الصهاينة المحتلين، وهذا يعود لكون المخاطَب يمثّل في القصيدة الطرف الثاني في الصراع العربي- الصهيوني كما يمثّل أيضًا رمزًا للاحتلال الغاشم الذي سرق أرضًا وصفّق له العالم كما أشار إلى ذلك نزار قباني في أحد المقاطع من نفس القصيدة[21].

كما نلاحظ أنّ ضمير المخاطَب المتّصل الذي استعمله الشاعر في قصيدته قد تمظهر في ثلاث صور هي: واو الجماعة/ كاف الخطاب المصحوبة بميم الجمع/ تاء الخطاب المصحوبة بميم الجمع ، فمن أمثلة الصورة الأولى له في القصيدة[22]:

لن تجعلوا من شعبنا
لا تسكروا
لن تستريحوا

فالمخاطَب بهذه الصورة(أي بواو الجماعة) في كل السياقات التي ورد فيها يعود فيها على المحتل الصهيوني، كما أنّه ورد فاعلًا إلّا أنّه في نظر الشاعر فاعلًا مسلوبًا من القدرة والفاعلية؛ فالصهاينة لن يستطيعوا أنْ يفعلوا بالفلسطينيين كما فعل الأمريكيون بشعب الهنود الحمر، كما أنّهم لن يستمتعوا بالنّصر فهو مؤقّت ولن يستمر لكونه قائمًا على باطل وعدوان، ولذلك لن يستريحوا لأنّهم على باطل وستنقلب عليهم الأحوال رأسًا على عقب ويتحوّل نصرهم إلى خيبة وهزيمة.

ومن أمثلة الصورة الثانية لضمير المخاطَب المتّصل في القصيدة[23]:

يا آل إسرائيلَ.. لا يأخذكم **الغُرورْ**
هزمتمُ الجيوش.. إلّا أنّكمْ لمْ تهزموا الشعورْ
ما بيننا.. وبينـــكم.. لا ينتهي بِعامْ
ونحن باقونَ على صدوركمْ

نلاحظ من خلال هذه السياقات التي ورد فيها ضمير المخاطب الجمع المصحوب بصيغة "كم" أنّه ارتبط بالتعبير عن صورة العدو الصهيوني الذي طالما تبجّح واغترّ بانتصاره على الفلسطينيين ، فهو انتصار ماديٌّ فقط -بحسب الشاعر- فالصهاينة لم يستطيعوا أنْ ينتصروا على الحس النّضالي ومبدأ المقاومة والرّفض في نفوس الفلسطينيين ولذلك فالمقاومة والصراع مستمر مع هذا العدو الذي لا يؤمن إلّا بلغة القوة. ومن نماذج وقوع ضمير المخاطب المتّصل في الصورة الثالثة في القصيدة[24]:

إذا قتلـتمْ خالدًا.. فسوف يأتي عمرو
وإنْ سحقـتمْ وردةً
هزمـتمْ الجيوش..
قطعـتمْ الأشجارَ من رؤوسها..

لقد جاء ضمير المخاطَب من خلال هذه الصيغة متلحّفًا بدلالة الإجرام الذي مارسه ومزال يمارسه الاحتلال الصهيوني في حق الشعب الفلسطيني؛ فالصهاينة قتلة دمويون لا يميّزون بين الأخضر واليابس، حتّى الطبيعة والبراءة والطفولة تعرضت لوحشية الصهاينة، وهذا ما أبان عنه الضمير الإشاري بهذه الصيغة وذلك بالرجوع إلى السياقات التي ورد فيها.

يُعدّ النّداء من العناصر الإشارية الشخصية لأنّنا نوظّفه لاستدعاء شخص أو تنبيهه. كما أنّ النّداء لا يُفهم إلّا إذا انكشف المرجع الذي يشير إليه في الخطاب. وبالرّجوع إلى القصيدة نجد أنّ نزار قباني وظّف النّداء مرّةً واحدة ويتجلّى ذلك في قوله: **يا آل إسرائيل**.. لا يأخذكم الغرورْ.

إنّ المنادى هنا يحيل سياقيًّا إلى المحتل الصهيوني، ونلمس الطّابع الديني التّاريخي في هذا النّداء، فالشاعر أشار بهذا النّداء إلى اعتقاد اليهود فيما يخص أرض الميعاد التي وعد الله بها نبيه يعقوب، هذا الاعتقاد المزعوم وظفته الحركة الصهيونية في الترويج لإقامة وطن لليهود في فلسطين وهذا الذي دفعهم لاحتلال فلسطين واغتصابها. فالشاعر إذن، أراد أنْ يقول من خلال هذا النّداء بأنّ الصهاينة حرّفوا الدّين واستغلّوه وتعمّدوا ذلك من أجل إعطاء الشرعية لاحتلال فلسطين.

إنّ أهمية الوقوف على آثار ومدلولات الإشاريات الشخصية في هذه القصيدة من **الناحية التعليمية** تتمثّل في توضيح من هو المتكلّم -المرسلِ و المخاطَب -المرسل إليه، وبما أنّ القصيدة ترتكز أساسًا على الصراع بين نحن وأنتم، أي بين الفلسطينيين والعرب من جهة والمحتل الصهيوني من جهة أخرى، فقد جاءت الإشاريات الشخصية لتكشف هوية طرفي الصراع وتبيّن مواصفات ومساعي كل طرف، وفهم هذا الجانب يساهم بدوره في تفاعل المتعلّمين وتجاوبهم مع النص باعتبار أنّ معرفة منْ يتحدّث ومن المعني بالخطاب السياسي هو تحقيق للتواصل بين المتعلمين والنص وبالتالي حصول التفاعل والتلقي الجيد مع مضمون النص. كما أنّ إثارة الأستاذ لمختلف الدلالات التي تُستنبط من توظيف الشاعر لهذه الإشاريات الشخصية كدلالة وقوف العرب مع الفلسطينيين دائمًا في مقاومتهم لليهود، من شأنه أنْ يساهم في تحقيق أهم هدف من أهداف تعليمية هذا النص

والذي يتمثّل في الوقوف على ظاهرة التزام الشعراء العرب المعاصرين بالقضية الفلسطينية، والحس القومي لديهم.

إنّ المتأمّل في أسئلة الكتاب المدرسي المتعلّقة بهذا النّص نجد أنّها قد تصدّت في طرحها للإشاريات الشّخصية، باعتبار الأخيرة تّمثّل رسائل سياسية متعدّدة أراد نزار قباني تبليغها للآخر.

فقد ورد في حقل "أناقش معطيات النّص" هذا السؤال: هناك ضميران بارزان في النّص ما هما؟ ولماذا ركّز عليهما الشّاعر في قصيدته؟ فالمتعلّم من خلال فهمه ومعرفته لهوية الضميرْين سيقف على خلفية تركيز الشاعر عليهما في هذه القصيدة، سيدرك المتعلّم أنّ هناك صراعًا قائمًا بين العرب والفلسطينيين من جهة والصهاينة المغتصبين من جهة أخرى، وأنّ هذا الصّراع ذو أبعاد متعدّدة سياسية، دينية.. وأنّ العرب لن يستسلموا في سبيل دعم والوقوف إلى جانب إخوتهم الفلسطينيين.

كما تضمّنت أسئلة الكتاب المدرسي سؤالًا آخر ذا طرح تداولي يتمحور حول الإشاريات الشخصية وقد جاء في حقل "أتفحّص الاتّساق والانسجام". هذا السّؤال هو: عبّر الشّاعر عن "الأنا" و"الآخر" في أكثر من سياق. ما هدفه من ذلك بالتّمثيل؟ فالسّؤال يبحث دور الضمائر الإشارية تداوليًّا. فالمتعلّم عندما يتلقّى هذا السّؤال سيتعرّض إلى حالة الصّراع الطّويلة بين طرفيْن أحدهما مظلوم تعرّضت أرضه إلى الاحتلال، والثّاني يمثّل الاستعمار والإجرام.

2-2 الإشاريات الزمانية:

هي كلمات تدلّ على زمان يحدّده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يُعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ[25].

وللإشاريات الزمانية دورٌ حاسمٌ في كشف المعاني التي يتضمّنها الخطاب، إذْ إنّ الجهل بها يؤدّي إلى التباس المعنى على المتلقي، وتتحدّد الدّلالة الزمانية للإشاريات الزمانية من خلال السّياق الذي تُستخدمُ فيه. كما ترجع قيمة الزمان لكونه ظاهرة تحمل دلالات متنوّعة فلسفية أو رمزية أو كونية، فهو لم يعدْ ذلك الزمن التقليدي الضّيق المرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل بل اتّسع للتعبير عن رؤى وتجارب وفلسفة وخاصّةً في النّصوص الأدبية الشعريّة، وهذا ما نلاحظه من خلال الإشاريات الزمانية التي تشتمل عليها القصيدة. ومن الإشاريات الزمانية الواردة في القصيدة قول الشاعر[26]:

فيها وُجدْنا منذ **فجر العمرْ**

إنّ المقصود من استعمال الشاعر للمركّب الإشاري الزمني "فجر العمرْ" من خلال السياق التخاطبي الذي وقع فيه هو إثبات معنى الأصالة والانتماء؛ ففلسطين عربية التاريخ، ولم ولن ينسى العرب هذا وسيظلون يدافعون عن أصالتها وهويتها الإسلامية رغم كيد الصهاينة لطمس معالمها.

ومن نماذج الإشاريات الزمانية الموجودة أيضًا في القصيدة قول الشاعر[27]:

باقون في **آذارها**

باقون في **نيسانها**

فـ "آذار" و"نيسان" عنصران إشاريان زمانيان، وهما بالسريانية ويقابلهما باللغة العربية مارس وأفريل.

إنّ توظيف الشاعر لهذيْن الإشاريْن الزمانييْن من خلال السياق لمْ يكن ليقصد به مجرّد الحديث عن شهريْن معروفيْن من شهور السّنة، وإنّما أراد الشاعر من خلالهما تمرير معنى الأصالة والبقاء؛ فالشاعر يؤمن بأنّ الفلسطينيين لن يتخلّوا أبدًا عن وطنهم لأنّ فلسطين رمز لانتمائهم وكرامتهم وأصلهم، وهذا ما يدعّمه تكرار الشاعر لاسم الفاعل "باقون".

كما جاءت الإشاريات الزمانية في القصيدة لتدلّ على معنى المقاومة والكفاح المصحوب بنبرة التّهديد والوعيد والتّحدي، وهذا ما نستشفه من خلال قول نزار[28]:

ما بيننا.. وبينكم.. لا ينتهي **بعامْ**

لا ينتهي **بخمسةٍ**.. أو **عشرةٍ**.. ولا **بألفِ عامْ**

فالشاعر يهدّد الصهاينة بأنّ مسيرة الحرب والكفاح لن تتوقّف عند عام فقط ولا عند خمسة أعوام بل ستستمر إلى أمد طويل، فالعداء شديد بين الصهاينة والعرب وقد انبثق من عوامل دينية وتاريخية، وكأنّ الشاعر أراد هنا إرسال رسالة إلى الكيان الصهيوني مفادها: استعدوا دائمًا لمواجهة الفلسطينيين والعرب ولن تستريحوا معهم.

والإشاريات الزمانية ثلاثية الأبعاد ما بين ماض وحاضر ومستقبل، وزمان التلفّظ هو دومًا مركز الإشارة الزمانية، وبناءً على هذا. فقد جاءت الأفعال الواردة في القصيدة متنوّعة الدلالات الزمنية وذلك بتنوّع السياقات التي ارتبطت بها، وهذا ما يُطلق عليه بالزمن النحوي الذي تتغير دلالاته بما يتناسب مع الموقف الذي نستعمل فيه الصيغة كما ساهمت الأفعال بتحوّلاتها الزمنية التي ترسّمها الشاعر في خدمة موقفه الشعري الذي تبناه. وسنقف على دلالات أبنية الأفعال الواردة في القصيدة.

2-2-1 الزمن الماضي ودلالته: لقد ورد الفعل الماضي في القصيدة ولكن اختلفت دلالاته الزمنية السياقية "الزمن النحوي"، وهذا ما يؤكّد على أنّ "الفعل العربي لا يفصح عن الزمان بصيغه، وإنّما يتحصّل الزمان من بناء الجملة فقد تشتمل على زيادات تعين الفعل على تقرير الزمان في حدود واضحة"[29].

جاء الفعل الماضي في المقطع الأوّل من القصيدة لينقل إلينا الشاعر من خلاله دلالة الإثبات والتّأكيد، يتجلّى هذا من خلال قوله[30]:

فيها **وُجدْنا** منذ فجر العمرْ

فيها **لعبنا، وعشقْنا، وكتبْنا** الشّعرْ

فالمتأمّل للأفعال الماضية: وُجدْنا/ لعبْنا/ عشقْنا/ كتبْنا يجد أنّ الشاعر قصد منها إثبات وتأكيد البقاء والتمسّك بفلسطين؛ فهي أفعال تُجسّد مدى ارتباط وجدان الفلسطيني والعربي بفلسطين. كما جاء الفعل الماضي في مواضع أخرى من القصيدة ليعبّر عن دلالة وقوع الفعل في المستقبل، وذلك إذا كان في مقام شرط أو دعاء، يقول إبراهيم السامرائي: "يأتي بناء(فَعَلَ)في أسلوب الدعاء

بالخير وهو من غير شك يشير إلى المستقبل نحو: رضي الله عنه ورحمه الله... يُستعمل بناء(فَعَلَ)للإعراب عن الزمان المستقبل وذلك في الظرف الشرطي (إذا)نحو إذا جئتني أكرمتك"[31].

ومن نماذج ورود الفعل الماضي للدلالة على المستقبل في القصيدة قول الشاعر[32]:

إذا **قتلتمْ** خالدًا

فسوف يأتي عمرو

وإنْ **سحقتمْ** وردةً

فسوف يبقى العطرْ

فكلّ من الفعلَيْن: "قتل" و "سحق" لم يتحقّقا؛ لأنّهما مرتبطان بالظرف الشرطي (إذا)، وللحرف(إنْ)، فدلالة الفعل الماضي في هذا السياق هو الوقوع في المستقبل لتجسيد غرض الوعيد والتّحدي. كما أنّ زمن الفعل الماضي في مواضع أخرى من القصيدة نجده يجسّد معنى الإصرار والمقاومة من أجل البقاء، وذلك في السياقات التي يسند فيها الشاعر أفعال الإجرام إلى الصهاينة، ويظهر هذا من خلال قول الشاعر[33]:

هزمتُمْ الجيوش..

قطعتم الأشجار من رؤوسها..

وكأنّ الشاعر يقول: أنّ جرائم الصهاينة وأعمالهم الشنيعة ضد الشعب الفلسطيني هي الباعث القوي الذي يزيد من يقين وقناعة الفلسطينيين والعرب بضرورة التمسّك بمبدأ المقاومة من أجل طرد المحتل من الأرض.

2-2-2 الزمن الحاضر ودلالته: ذكر النحويون أنّ البناء "يفعل" يدلّ على التجدّد، وزمنُه مترجّحٌ للحال بغير سوابق أو لواصق، وربّما هناك من السّوابق أو اللواصق؛ **كلام** الابتداء مثلًا ما يجعل الصيغة دالّة على الحال، وهناك ما يجعله ينصرف إلى المستقبل مثلًا كالسّين أو سوف أو النّون، وهناك ما يصرفه إلى الماضي كأن يُضام "لمْ أو لمّا"[34].

تضمّنت القصيدة مجموعة من الأفعال المضارعة وقد تنوّعت مدلولاتها الزمنيّة التي تعبّر عنها، بين دلالة الحال أو المستقبل أو الماضي كما نجدها تدلّ على قصدية الشاعر. كما يُلاحظ أيضًا سيطرة البنية الفعلية المضارعية "يفعل" على البنى الفعلية في القصيدة.

إنّ أكثر الأفعال المضارعة الواردة في القصيدة جاءت لتدلّ على المستقبل، وقد وردت هذه الأفعال مسبوقةً بكلمات وظيفية(قرائن سياقية) مثل: السين، سوف، أنْ، لنْ، لا الناهية الجازمة، لا النافية...ومن نماذج الأفعال المضارعة الدّالة على المستقبل في القصيدة قول الشاعر[35]:

لن تجعلوا من شعبنا

لا تسكروا بالنصر..

إذا قتلتمْ خالدًا.. **فسوف يأتي** عمرو

وإنْ سحقتمْ وردةً

فسوف يبقى العطرْ

لن تستريحوا معنا
يا آل إسرائيل **لا يأخذكم** الغرورْ
عقارب السّاعة إنْ توقّفت، لا بدّ **أنْ تدور**..
إنّ اغتصاب الأرض **لا يخيفنا**
ما بيننا.. وبينكم.. **لا ينتهي** بعامْ

إنّ استعمال الشاعر لهذه الأفعال المضارعة: "لن تجعلوا/ لا تسكروا/ فسوف يأتي/ فسوف يبقى/ لن تستريحوا/ لا يأخذكم/ أنْ تدور/ لا يخيفنا/ لا ينتهي" مسبوقةً بضمائم مثل: لن، لا الناهية، فسوف، أنْ، لا النافية، لم يكن عفويًا وإنّما كان لمقاصد سعى الشاعر إليها مثل الوعيد والتهديد وتحدّي الصهاينة ومقاومتهم دائمًا. وبما أنّ صيغة "يفعل" تدلّ على التجدّد، فالشاعر من خلال تعبيره بهذه الأفعال المضارعة يعلن عن استمرار وتجدّد موقف الفلسطينيين والعرب القائم على رفض الاحتلال الصهيوني لفلسطين ، موقفٌ تجسّد في عدم الخوف من الصهاينة ومواجهتهم ومقاومتهم وتحديهم بكل شجاعة وعزيمة لأنّ فلسطين غالية في نفوس أبنائها وهي رمز للقدسية والعروبة في وجدان العرب والمسلمين، ولذلك فلا مناص من الدّفاع عنها والوقوف في وجه المحتل لردعه ولجمه عمّا يقترفه من جرائم.

كما نجد حضور الأفعال المضارعة الدّالة على الحال قليلة في القصيدة، وهي أفعال مضارعة وردت متجرّدةً من السّوابق واللواحق التي تساهم بدورها في توجيه الزمن. ومن نماذج الأفعال المضارعة التي تدلّ على الحال في القصيدة[36]:

في هذه الأرض التي **تلبس** في معصمها
نضيفه إلى الحساب العتيقْ
سوى قناديل **تضيء** الطريقْ
يموت آلافًا من المرّات..
فالماء **يبقى** دامًا في باطن الصّخورْ

إنّ هذه الأفعال المضارعة والمتجرّدة من الضمائم أراد الشاعر من وراء توظيفها في هذه السياقات أنْ ينقل لنا رسائل مقصودة تتعلّق بحال فلسطين والشعب الفلسطيني وهما في مواجهة المحتل؛ ففلسطين جميلة ومازالت ترمز للجمال والرّوعة رغم سعي الصهاينة لطمس معالمها الطبيعية والحضارية والعمرانية، كما أنّ جرائم الصهاينة ضد الشعب الفلسطيني الأبي ووطنه لم تتوقف، وأنّ نيران أسلحة الصهاينة التي تستهدف الفلسطينيين تزيدهم قناعةً وتبصرةً بضرورة مقاومة المحتل والتّصدي له بكل ما يملكون من وسائل وإمكانات، ولذلك فقوافل الشهداء من أجل فلسطين لا تتوقف ، والكفاح من أجلها لا يتوقّف.

كما نجد صيغة المضارع "يفعل" في القصيدة تُحيل إلى دلالة الماضي وذلك من خلال اقترانها مع إحدى الكلمات الوظيفية التي تُضام إليها مثل(لمْ) وقد ورد بناء "يفعل" الدّال على الماضي مسبوقًا بضميمة "لمْ" في موضع واحد من القصيدة في قوله[37]:

هزمتمْ الجيوش.. إلّا أنّكمْ **لمْ تهزموا** الشعورْ

إنّ تركيبة "لمْ يفعلْ" تدلّ زمنيًّا على الماضي المنقطع البعيد، حيث "تسبق "لمْ" صيغة "يفعل" فتنفي الحدث وتجزم الصيغة وتقلب معناها إلى الماضي غير المتوقّع"[38]. فالشاعر من خلال استعماله لبناء "لم يفعل" من خلال قوله: "لمْ تهزموا" يريد أنْ يوصل رسالةً للعدو الصهيوني مفادها أنّ الفلسطينيين ومعهم العرب وإنْ هُزموا في الماضي عسكريّا في حرب1967 أمام العدو الصهيوني إلّا أنّه لمْ يقدرْ على هزيمة معنوياتهم وعزيمتهم وحسّهم الوطني.

وتتمثّل أهمية الوقوف على الإشاريات الزمنية بالنسبة إلى مجال **تعليمية هذا النص**، في كون هذه الإشاريات اتّخذت أبعادًا فلسفيةً ورمزيّةً وثقافيةً صبغها الشاعر على الفضاء الزمني حيث يؤدّي فهم وتلقّي المتعلّمين لهذه الأبعاد الضمنية إلى الغوص في أعماق النص واستكشاف مقاصد الشاعر ومواقفه وتجاربه الشعرية التي جعل الشاعر الزمنَ وسيلةً أساسيةً للولوج إليها. فقد عبّرت الإشاريات الزمنية عن عدة مدلولات تُعدّ مقوّمات بناء النص ومرجعية لتفسيره وفهمه، حيث تحرّرت الإشاريات الزمنية من الفضاء الضيّق في القصيدة وأعطى الشاعر لها أبعادًا دلالية متنوّعة من خلال السياقات التي وردت فيها؛ فقد ارتبطت بمفهوم الانتماء والأصالة، وكذلك مفهوم المقاومة والتضحية والصمود والتحدي واستمرار النّضال والمواجهة...الخ.

بالرّجوع إلى أسئلة الكتاب المدرسي المتعلّقة بهذا النّص نجد أنّها احتفت بالإشاريات الزمانية. فقد ورد سؤالٌ بصيغة مباشرة صريحة عن الإشاريات الزمانية، وهذا السؤال هو: عنصر الزمان والمكان بارزٌ في النّص. هات أمثلة وبيّن إلى ماذا يوحي ذلك؟ من خلال وقوف المتعلّمين على نماذج من العناصر الإشارية الزمانية الواردة في القصيدة واستيعاب مدلولاتها ومقاصدها ستنكشف أمامهم الكثير من القيم والرّسائل والمعاني التي بثّها الشّاعر من خلال توظيفه لهذه الإشاريات الزمانية كالتّضحية والصّمود والأصالة والانتماء. وهي قيم في حدّ ذاتها تشكّل رسائل تحذيرية مقصودة من الشّاعر للصّهاينة ولكل من يقف إلى جانبهم.

3-2 الإشاريات المكانية:

"وهي عناصر إشارية تدلّ على أماكن يُعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع"[39].

ويؤدّي كلّ من المكان والزمان دورًا مهمًّا في النصوص الأدبية؛ لكون هذه الأخيرة تشتمل على أحداث وحالات تتمّ صياغتها ونقلها بطريقة أدبيّة فنيّة، وبناءً على هذا، فإنّه من غير المعقول أنْ يتم تصوير هذه الأحداث والحالات في منأى عن إطاريْ المكان والزمان، ولذلك بعد أنْ تعرّفنا على دلالات الزمان المختلفة في القصيدة كان من الضروري أنْ نتعرّف على مختلف الأمكنة التي ضمّت الأحداث وأزمنتها في هذه القصيدة.

والإشاريات المكانية تتبلور في أسماء الإشارة، و الظروف المكانية والكلمات المعبّرة عن جغرافية الخطاب، وقد وظّف نزار قباني كلًّا من هذه الأنماط في قصيدته.

2-3-1 أسماء الإشارة ودلالاتها: وهي عناصر إشارية يُشار بها إلى مكان لا يتحدّد إلّا بمعرفة موقع المتكلّم واتّجاهه. وهي أكثر الإشاريات المكانية وضوحًا، ولكن يصعب فهم مدلولاتها دون معرفة السياق المباشر الذي قيلت فيه، ومن الظروف المكانية التي استعملها الشاعر في قصيدته اسم الإشارة الظرفي "هنا"، فهي اسم إشارة وظرف مكان معًا[40].وقد وظّف نزار اسم الإشارة الظرفي "هنا" مرّةً واحدةً في قصيدته من خلال قوله[41]:

فنحن باقون **هنا**..

كان اختيار الشاعر لهذا العنصر الإشاري المكاني في قصيدته ذا بُعد تواصلي، حيث خدم القصد الذي أراده المتمثّل في تجسيد دلالة قرب المُشار إليه إلى قلبه؛ فـ "هنا" يقصد بها الشاعر أرض فلسطين، وبما أنّ "هنا" هي اسم إشارة يُشار به إلى القريب، فالشاعر أراد من خلال التّعبير باسم الإشارة "هنا" أنّ الأرض والبلاد التي ذكرها قريبةٌ من قلبه، وهو شديد التعلّق بها وكذلك هي أرضٌ قريبةٌ من قلوب العرب، ففلسطين هي مركز وحدة الأمّة العربيّة ومنبع أصالتها. كما نجد الشاعر قد استعمل اسم الإشارة "هذا" مرّتيْن في القصيدة، وكان لتكرار الشاعر لهذا العنصر الإشاري المكاني أثرٌ دلاليّ وتداوليّ. يقول نزار قباني[42]:

في **هذه** الأرض التي تلبس في معصمها
فـ**هذه** بلادنا

فبالإضافة إلى كون اسم الإشارة يمثّل عنصرًا لغويًّا يوضّح الدلالة في الجملة ويربط بين أجزائها، فهو من خلال بعده الإشاري التّداولي يعمل على توضيح مقصود الشاعر من خلال وضعه السياقيّ الذي ورد فيه، فالشاعر أراد من خلال توظيفه لـ"هذه" في كلا الموضعيْن الإحالة إلى نفس المرجع ألا وهو فلسطين، أمّا الدّلالة التي أرادها الشاعر من وراء استعماله للمكوّن الإشاري "هذه" فتبدو من خلال سياق الاستعمال التعبير عن معنى الاعتزاز والافتخار بالوطن، والتغنّي بالانتماء إليه والتّرعرع فيه.

2-3-2 الظروف المكانية: وهذا الصنف من الإشاريات المكانية يُشار بها إلى مكان لا يتحدّد إلّا بمعرفة موقع المتكلّم واتّجاهه، وما يُلاحظ في هذه القصيدة التعليمية توظيف الشاعر لحروف الجر التي أخذت معنى الظرفية المكانية أبرزها (في)، وقد جاءت لتدلّ على مدلولات مختلفة حملها السياق الذي وردت فيه. فمن المواضع التي استخدم فيها الشاعر (في)للتعبير عن الظرفية المكانية قوله:

في هذه الأرض التي تلبس في معصمها
فيها وُجدْنا منذ فجر العمرْ
مشرّشون نحن **في** خِلجانها
فالماء يبقى دائمًا **في** باطن الصخور

لقد وردت(في) في هذه القصيدة بشكل لافت للنظر، وقد ارتبطت بأبعاد المكان الذي يمثّل بؤرة الصراع، فالشاعر يريد أنْ يؤكّد -من خلال تكرار هذا الحرف في القصيدة والذي جاء مقترنًا

بالظرفية المكانية- أنْ يثبت أنّ الأرض الفلسطينية للفلسطينيين، وأنّ العرب باقون فيها بكل الوسائل باقون في عاداتها وأصالتها، كما أنّ الشاعر ومن خلال معنى الظرفية المكانية لحرف(في) أراد تمرير رسالة الصمود والتّحدي، فالعرب لن يتوقّفوا عن مساندة فلسطين وشعبها.

3-3-2 الكلمات المعبرة عن جغرافية الخطاب: إنّ المتأمّل في قصيدة "منشورات فداية" يجدُ أنّها قصيدة مكان بامتياز؛ فالموضوع الأساسي فيها هو الأرض وبالتّالي المكان، مكان أراد الشاعر أنْ يمرّر منه الكثير من الدّلالات. ولو أمعنّا النّظر في القصيدة لوجدْنا أنّ إشارياته المكانية(الجغرافية) في أغلبها تُحيل إلى الأرض المسلوبة المحتلّة، ومن نماذج هذا النّوع من الإشاريات المكانية قوله[43]:

في هذه **الأرض** التي تلبس في معصمها

فـهذه **بلادنا**

مشرّشون نحن في **خِلجانها**

إنّ اغتصاب **الأرض** لا يخيفنا

فكلّ من الإشاريات المكانية: **الأرض/بلادنا/خِلجانها** تُحيل إلى نفس المرجع وهو فلسطين. أراد الشاعر من وراء توظيفه لهذه الإشاريات المكانية المتنوّعة والتي تعود إلى الأرض الفلسطينية أنْ يُعبّر عن مدى حبّه وتعلّقه وتمسّكه بهذا الوطن الغالي المفقود من البلاد العربية، إنّه الوطن الذي يعتزّ الشاعر بالانتماء إليه كما يعتزّ كلّ عربي بالانتماء إليه أيضًا، ففلسطين هي القلب النابض في جسد الأمّة العربية، ولذلك فإنّ اغتصاب هذه الأرض الطّاهرة من طرف الصهاينة المجرمين شكّل في نفس الشاعر وفي نفوس كلّ العرب الغيورين صدمةً وفاجعةً عميقة الأثر ترجمها الشاعر في قصيدته من خلال تكثيفه لمعنى الانتماء والوفاء وشدّة التمسّك بالأرض وعدم التوقّف عن دعمها ومساندتها وكذا رفع راية الكفاح والنّضال ضدّ المحتلّ من أجل أنْ تستردّ الأرض حرّيتها وانعتاقها. إنّه التّعبير عن الوجع العربيّ المصحوب بالتّحدي و التّهديد والمقاومة.

وما يُلاحظ في هذه القصيدة الثّراء والتّعدّد في الفضاءات المكانية ، وهذا التنوّع المكاني ـ الجغرافي ينعكس حتمًا على مدلولاتها التي قصدها الشاعر، فكما رأينا أنّ الأرض والبلاد والخلجان تدلّ على معاني الحبّ والانتماء والتمسّك، فهناك ملفوظات مكانية أخرى وردت في القصيدة تُشير إلى معاني الانتكاسة والسقوط، ويمكن التّمثيل لهذه الملفوظات المكانية بعبارات من القصيدة[44]:

المسجد الأقصى شهيدٌ جديدْ

إنّ اغتصاب **الأرض** لا يخيفنا

فالمحتلّ الصهيوني احتلّ المسجد الأقصى وعاث فيه فسادًا رغم حرمته وقدسيته ولمْ يحترم بإجرامه هذا مشاعر المسلمين، كما أنّ اغتصاب أرض فلسطين مثّل في وجدان الشاعر ووجدان كلّ العرب انتكاسةً مدوّيةً هزّت جوانح الأمّة العربية برمّتها. فتوظيف الشاعر للإشاريْن المكانييْن "المسجد الأقصى"، و"الأرض" في السياق الذي وقعتا فيه يحمل إذن دلالة الانتكاسة والانكسار. انكسار لمْ يزدْ الشاعر والغيورين على فلسطين إلّا يقينًا و إصرارًا على الصمود والمقاومة والوقوف في وجه المحتل الصّهيوني الغاشم.

إنّ وقوف الأستاذ على الإشاريات المكانية في هذه القصيدة ضروريٌ في **العملية التعليمية** وذلك لتوضيح موقف الشاعر السياسي المتمثّل في الوقوف إلى جانب فلسطين ووقوف كل العرب معها ضد ما يحدث لها من احتلال الصهاينة لها، كما جاءت الإشاريات المكانية لتعبّر أيضًا نزعة الشاعر الأدبية المتمثّلة في الالتزام؛ فكلّ الإشاريات المكانية رغم تنوّعها إلّا أنّها تعود من حيث مراجعها إلى فلسطين وما تشتمل عليه من مقدّسات ومقوّمات تعلّقت بها قلوب العرب. وتبليغ هذه الأفكار النقدية والفنيّة إلى المتعلّمين يسهّل عميلة تواصلهم ويزيد من تفاعلهم وحتّى تأثّرهم مع مواقف الشاعر وأفكاره التي أودعها في قصيدته.

لم تغب الإشاريات المكانية عن الطّرح في أسئلة الكتاب المدرسي الخاصّة بالنّص هذا، ومن بين الأسئلة التي دارت محتواها حول هذه الإشاريات نجد هذا السّؤال الذي ورد في حقل "أكتشف معطيات النّص" أين يظهر في النّص أنّ فلسطين مهبط الأديان السّماوية؟ فالسؤال هذا ضمنيًّا يستهدف البحث عن تجلّيات الإشاريات المكانية في القصيدة، كما أنّ المتعلّمين ومن خلال فحوى هذا السّؤال المُصدّر بـ "أين" سيربطون دور الإشاريات المكانية بدلالة القدسية الدّينية لفلسطين، سيصل المتعلّمون إلى أنّ الملفوظات مثل "على صلبانها"، في نبيّها الكريم"، في قرآنها"، في الوصايا العشر" وهي ملفوظات مسبوقة بحروف جر تدلّ من حيث سياقاتها التي وردت فيها على معنى الظّرفية المكانية، وأنّ الأسماء المجرورة التي اتّصلت بها تشير إلى الأبعاد الدّينية التّاريخية لفلسطين.

ومن هنا نلاحظ أنّ الإشاريات المكانية ساهمت كغيرها من العناصر الإشارية في توضيح المدلولات الخفيّة المرتبطة بمقاصد الشّاعر والتي تُستنبط من خلال ربطها بالسّياق. وهذه المقاصد والمعاني يُساهم الوقوف عليها في تحقيق التّواصل والتّفاعل بين المتعلّمين ومحتوى القصيدة.

خاتمة:

من خلال بحثنا توصّلتُ إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- اشتملت قصيدة "منشورات فدائية" التعليمية على مقاصد سياسية متنوّعة مثل قصد الإقرار بالأصالة العربية، والتمسّك بالأرض، وتمجيد النضال والاعتزاز والافتخار، التمسّك بخيار القوّة.. وقد تمّ التّوصّل إلى معرفة هذه المقاصد السياسية عن طريق المنهج التّداولي من خلال آلية الإشاريات.
- لعبتْ الإشاريات دورًا كبيرًا في النص الأدبي "منشورات فدائية"، حيث كشفتْ عن فاعليتها في تحقيق التّواصل والتّفاعل بين النص والمتلقّي/المتعلّم، كما لمْ يقتصر دورها في ربط العبارات فقط، بل تجاوزت وظيفة الاتّساق والرّبط لتساهم في بناء النّص الشعري وتفسير المقاصد والمضامين التي تضمّنها.
- تُعدّ الإشاريات من الوحدات اللّسانية المبهمة التي لا تتحدّد مدلولاتها ومراجعها إلّا بالرّجوع إلى السّياق الذي وردتْ فيه، ولذلك أدّى إجلاء معانيها ومراجعها التي تحيل إليها من ناحية تعليمية النص إلى توضيح وتقريب محتوى النص إلى أذهان المتعلّمين(تلاميذ السنة الثالثة ثانوي)فيحصل الإفهام والتّواصل الجيّد.

- إنّ الغوص في لغة النص من حيث سياق الاستعمال يساهم في الكشف عن الأفكار والرّؤى والمواقف التي تبنّاها الشاعر في قصيدته، حيث تمّ الوقوف على ما قاله الشاعر ولمْ يكتبه، وهذا ما أثبتته كلٌّ من الإشاريات.
- إنّ تنوّع الإشاريات في قصيدة "منشورات فدائية" هو تنوّعٌ في الدلالات السياقية التي تضافرت في تشكيل النص وإنتاجه سواء من حيث وجودُ الأطراف المتفاعلة في النص أو من حيث وجودُ الأزمنة التي واكبت الأحداث أو من حيثُ الأماكن التي احتضنت الوقائع التي أثارها النص.
- جسّدت الإشاريات التّداولية في القصيدة السياسية "منشورات فدائية" وظيفة الإقناع والتأثير؛ حيث ركّز الشاعر على هذه المكوّنات اللغوية السياقية لإقناع الآخر "المحتل الصهيوني" بمواقفه السياسي الرّافض لوجوده(المحتل الصهيوني)في أرض فلسطين، كما ساهمت بفاعلية في توجيه التأثير المعنوي على المحتل باعتباره يمثّل المخاطَب في القصيدة.
- لقد ساهم تفسير مدلولات الإشاريات في هذا النص السياسي في تحقيق الأهداف المرجوة من تعليمه؛ فقد كشفت الإشاريات الشخصية وغيرها على مدى اهتمام الشاعر بقضية فلسطين، كما أكّدت على الحس القومي لديه، والتزامه بدعم القضية الفلسطينية.
- إنّ فهم أبعاد الإشاريات في هذه القصيدة يساعد المتعلّمين على التلقّي الجيّد للنص وبالتالي تحقيق التواصل والتفاعل مع محتوى النص.

الإحالات:

[1] يُنظر: الوحدة، نور، دت، التداولية: علاقتها بالعلوم الأخرى وتطبيقاتها بغيرها من المجالات، مجلة التعريب، الجامعة الإسلامية ببالنكارايا، إندونيسيا، المجلد 4، العدد1، ص38.

[2] يُنظر: أجعيط، نور الدين، 2016،الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص203.

[3]نبها، أكرم محمد، جويلية 2020، آليات التّداولية في مقاربة نصوص التّراث خطبة الجهاد أنموذجًا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة اللبنانية، ص31.

[4]دي بوجراند، روبرت، 1998، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، ص320.

[5]پول، جورج، 2010، التداولية، تر: قصي العتابي، ط1، دار الأمان، الرباط، ص28.

[6]الزناد، الأزهر ، 1993، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص115-116.

[7]ينظر: رمضان النجار، نادية، 2013، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ط1، مؤسسة حورس الدولية، مصر، ص88.

[8]العزاوي، كاظم جاسم منصور،2016، التعبير الإشاري في الخصيبي: مقاربة تداولية، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد24، العدد1، ص74.

[9] ينظر: نحلة، محمود أحمد ،2002، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دط، دار المعرفة الجامعية، مصر، ص17-19.

[10]ينظر: عفيفي، أحمد، دت، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، دط، جامعة القاهرة، مصر، ص38.

[11]نبها، أكرم محمد، آليات التّداولية في مقاربة نصوص التّراث خطبة الجهاد أنموذجًا، ص32.

[12]حمو الحاج، ذهبية، 2012، لسانيات التلفّظ وتداولية الخطاب، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ص106-107.

[13] ينظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 19-20.

[14] يُنظر: ختام، جواد، 2016، التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص80-81.

[15] نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص21.

[16] الشهري، عبد الهادي،2004، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ص84.

[17] نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص22.

[18] حمادي، مصطفى، سبتمبر 2016، تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، المجلد 15، العدد 26، ص65.

[19] سعيدي، دراجي، وآخرون،2007-2008، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبتيْن آداب وفلسفة /لغات أجنبية، ط1، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، ص94.

[20] المرجع نفسه: ص94-95.

[21] يُنظر: قباني، نزار ، دت، الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، دط،ج3، ص180.

[22] سعيدي، دراجي، وآخرون، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبتيْن آداب وفلسفة /لغات أجنبية، ص94-95.

[23] المرجع نفسه: ص95.

[24] المرجع نفسه: ص94-95.

[25] يُنظر: نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص19.

[26] سعيدي، دراجي، وآخرون، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبتيْن آداب وفلسفة /لغات أجنبية، ص94.

[27] المرجع نفسه: ص94.

[28] المرجع نفسه: ص95.

[29] السّامرائي، إبراهيم، 1983،الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، لبنان، ص24.

[30] سعيدي، دراجي، وآخرون، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبتيْن آداب وفلسفة /لغات أجنبية، ص94.

[31] السّامرائي، إبراهيم ، الفعل زمانه وأبنيته، ص28 -29.

[32] سعيدي، دراجي، وآخرون، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبتيْن آداب وفلسفة /لغات أجنبية، ص94.

[33] المرجع نفسه: ص95.

[34] يُنظر: الرّيحاني ،محمد عبد الرّحمن، دت، اتّجاهات التّحليل الزّمني في الدّراسات اللغويّة، دط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص89.

[35] سعيدي، دراجي، وآخرون، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبتيْن آداب وفلسفة /لغات أجنبية، ص94-95.

[36] المرجع نفسه: ص94-95.

[37] المرجع نفسه: ص95.

[38] الرّيحاني، محمد عبد الرّحمن، اتّجاهات التّحليل الزّمني في الدّراسات اللغويّة، ص92.

[39] نحلة، محمود أحمد ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص21.

[40] يُنظر: حسن، عباس، دت، النّحو الوافي، دار المعارف، ط3، ج1، كورنيش النّيل، القاهرة، مصر، ص335.

[41] سعيدي، دراجي، وآخرون، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبتيْن آداب وفلسفة /لغات أجنبية، ص94.

[42] المرجع نفسه: ص94.

[43] المرجع نفسه: ص94-95.

[44] المرجع نفسه: ص94-95.

المراجع:

- أجعيط، نور الدين، 2016،الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
- پول، جورج، 2010، التداولية، تر: قصي العتابي، ط1، دار الأمان، الرباط.
- حسن، عباس، دت، النّحو الوافي، دار المعارف، ط3، ج1، كورنيش النّيل، القاهرة، مصر.

- حمادي، مصطفى، سبتمبر 2016، تداولية الإشاريات في الخطاب القرآني مقاربة تحليلية لكشف المقاصد والأبعاد، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، المجلد 15، العدد 26.
- حمو الحاج، ذهبية، 2012، لسانيات التلفّظ وتداولية الخطاب، ط2، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو.
- ختام، جواد، 2016، التداولية أصولها واتجاهاتها، ط1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- دي بوجراند، روبرت، 1998، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة.
- رمضان النجار، نادية، 2013، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، ط1، مؤسسة حورس الدولية، مصر.
- الرّيحاني ،محمد عبد الرّحمن، دت، اتّجاهات التّحليل الزّمني في الدّراسات اللغويّة، دط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- الزناد، الأزهر، 1993، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصًّا، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- السّامرائي، إبراهيم، 1983،الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، لبنان.
- سعيدي، دراجي، وآخرون،2007-2008، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبتيْن آداب وفلسفة /لغات أجنبية، ط1، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر.
- الشهري، عبد الهادي،2004، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت.
- العزاوي، كاظم جاسم منصور،2016، التعبير الإشاري في الخصيبي: مقاربة تداولية، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد24، العدد1.
- قباني، نزار، دت، الأعمال السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، دط،ج3.
- نها، أكرم محمد، آليات التّداولية في مقاربة نصوص التّراث خطبة الجهاد أنموذجًا.
- نها، أكرم محمد، جويلية 2020، آليات التّداولية في مقاربة نصوص التّراث خطبة الجهاد أنموذجًا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة اللبنانية.
- نحلة، محمود أحمد ،2002، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دط، دار المعرفة الجامعية، مصر.
- الوحدة، نور، دت، التداولية: علاقتها بالعلوم الأخرى وتطبيقاتها بغيرها من المجالات، مجلة التعريب، الجامعة الإسلامية ببالنكارايا، إندونيسيا، المجلد 4، العدد1.
- عفيفي، أحمد، دت، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، دط، جامعة القاهرة، مصر.